المسألة العربية عند الاتحاديين

من لم تقده عبراً أيامه كان العمى أولى به من الهدى

كنا نقول: ان معيشتنا بهؤلاء الاتحاديين الذين ورثوا ملك عبد الحميد أنهم أصحاب نظريات في السياسة والادارة يجربونها في هذه الدولة التي يجب الجري فيها على قواعد ثابتة لأنها لم تعد تحتمل التجارب ، وكنا نظن انها اذا لم تناجمها الدواهي الخارجية في أثناء هذه التجارب فربما ظهر هؤلاء العاملين خطأهم فرجعوا عنه ، وقد رأينا القوم خابوا وفشلوا في كل شيء واعترف بعضهم ببعض خطأهم وادعوا انهم رجعوا عن بعضه وأنهم سيرجعون عن بعض آخر ، ولكنهم لم يفوا بوعد ، ولا رجعوا عن سوء قصد ، ولا اعتبروا بالحوادث ، ولا تأدبوا بالكوارث ، بل ازدادوا كذبا وخداعا وهذا من الغرور ، الذي قلما يوجد في البشر له نظير ، والأمثلة على هذا كثيرة جدا ، بل أعمالهم اليوم هي عنوان أعمالهم بالامس ، لافرق بين ما كنت تراه منها في أول عهد وزارتهم « الحقية » اذ كانوا يدلون بأسهم وقوتهم وجيوشهم ، وبين ما تراه على عهد وزارتهم « الشوكية » بعد أن أضاعوا ثلثي المملكة باضاعة طرابلس الغرب وبرقة وجميع الولايات الاوربية ، ومعظم الجزر البحرية ، وبعد افساد الجيش والتفريق بين العناصر واضاعة الاموال — فهم بعد هذا كله لم يحولوا عن سياستهم السوءى في المسألة العربية التي أحدثوها في هذه المملكة وقطبها عندهم الضغط والارهاب بالقوة من جهة ، والغش والمخادعة من جهة أخرى ، وغرضنا من هذا ان نقول كلمة في هذه المخادعة :

زرت الآستانة في اواخر سنة ١٣٢٧ وبقيت فيها الى آخر ما بعدها وكان مما اجتهدت في تلافيه سد ثغرة التنافر بين الترك والعرب : ولما حدثت طلعت بك بمشروعهم الاتحادي في ذلك وكان مظهرا للمداهنة وقابضا على زمام الادارة والسياسة في الدولة أظهر لي قبول رأيي وكان مما قاله انهم عازمون على إنشاء جريدة عربية في الآستانة لأجل استمالة العرب ومودتهم ، فسألته عمن يقوم بادارة هذه الجريدة وتحريرها فقال: عبد الله افندي مبعوث آيدين ، قلت : ان الرجل معروف ببغض العرب والعربية فلا أراه يزيد مسافة الخلف الا انقراضا واتساعا الخ ما دار بيننا في ذلك . ثم ظهرت الجريدة باسم العرب وكان ما كان من أمر قيامة الجرائد العربية عليها في سورية والعراق ومصر وأمريكة وغيرها من البلاد ، واشتهر عند الخاص والعام في هذه الاقطار ان هذه الجريدة أسست للتفريق بين العرب وغشهم ومخادعتهم وتحقير مصاحبهم ، وايقاع الشقاق بين

مسلمي سورية وصاراهم منهم ، وبهذا بطل الغرض من انشائها فاضطروا الى إبطالها

شاويش خلف عبيد الله

ثم بدا لهم أن يبسطوا هذه المفسدة برجل يعده بعض العرب منهم فلم يروا أحدا أهلا لذلك الا الشيخ عبد العزيز شاويش لأنه كان قد مهد السبيل الى تفتهم به بما كان ينصر جمعيتهم ويطري زعماءهم في جريدة العلم ، وبمقاومته لمشروع الدعوة والارشاد ثم بطعنه في مسلمي العرب وزعمه أنهم أضر على الدولة من نصارى البلغار والروم وغيرهم !!

بمثل هذا تقرب شاويش الى جمعية الاتحاد والترقي عدوة العرب والاسلام ونال المظاوة عندها فأسست له جريدة في الاستانة كانت تنشرها في البلاد العربية بقوة الحكومة وهي (الهلال العثماني) ولكن قوة الحكومة قد تجزع عن جعل الناس يتلقونها بالقبول ، ثم سقطت هذه الجريدة المنافقة بسقوط وزارتهم السعيدية ، فلما عادت لهم الكرة بفتنة أنور بك وألفوا الوزارة الشورية أنشأوا لشاويش جريدة أخرى باسم (الحق يعلو) وسمى أحد شبان المصريين المتصلين به مديراً لها ليكون مدح شاويش والثناء عليه سائغاً مقبولا ، ولئلا يكون اذا سألت الاحوال مسؤلا .

لم أقرأ من هذه الجريدة الا عددا واحدا وجدت فيه دسيسة من شر دسائسهم في التفريق بين العرب واغراء العناصر والبغضاء بينهم الذي يراه الاتحاديون الوسيلة الى إضعافهم وأخذ منافذ الترقي والاصلاح عليهم في سورية ، وهو أنه زعم أن أهل الذمة الذين يبتاعون بترجمون بها الدوائر فاذا أمكنتهم الفرصة تناولوا بها أقبح تناول البلغاريون بمسلمي بلادهم من القتل والسلب والنهب والفضائح ... فما الذي حمل الاتحاديين على دفع الشيخ عبد العزيز شاويش على كتابة مثل هذا الكلام في مثل هذا الوقت ؟ أليس المعقول ان مصلحة الدولة الآن تقتضي الالفة أو السكون في الولايات الاسيوية ، وهي مرتبكة في الحرب البلقانية ، لئلا تفتح على نفسها أبوابا جديدة من المشاكل ؟ ألم يكن الواجب على الشيخ عبد العزيز شاويش أن يكتم علمه بما قاله ان كان في ذلك على علم ـ وما هو علم ولا ظن بل هي فتنة ـ لئلا يكون سبباً لثورة في سورية تفضي الى خروجها من ملك الدولة كما خرج غيرها ؟ بلى ! ولكن الاتحاديين علموا ان أواخي الوفاق قد شدت بين المسلمين والنصارى في بيروت وأجمعوا على أن يكونوا يداً واحدة في طلب الاصلاح لبلادهم وهذا مالا يطيقه الاتحاديون ، والظاهر أن تعريض البلاد العربية لاستيلاء أوربة عليها أخف على قلوبهم وأدنى الى سياستهم من اتفاق أهلها واصلاح حالهم فلهذا أوعزوا الى بعضهم مفاسدهم بهذا من غير أن يحسبوا لعاقبته

حصاناً ، وربما كان هذا الغلو في الافساد الى هذه الدرجة من سوء اجتهاد الشيخ شاويش وجريا منه على ماتعوّد بمصر من إطلاق العنان لقلمه في مثل هذا حتى زجه في السجن غير مرة ثم اخرجه من القطر المصري كله ، واذا كان شأنه في التفريق بين المسلمين والقبط ماعلمه الناس وفيها حكومة منظمة ومحاكم تقيم القانون فكيف لايكون شأنه في ذلك مارأينا واشد مما رأينا منه في الآستانة وهو يرمي عن قوس جمعية الاتحاد والترقي صاحبة السلطة في المملكة العثمانية ويضحي بسهامها ويكافأ على ذلك بمال العثمانيين المنكوبين بجميع أنواع المصائب بشؤم هذه الجمعية

الشيخ عبد العزيز شاويش مفتون بحب الشهرة والزعامة وهو يحاول أن ينال بجاه الاتحاديين ماأعياه نيله بغلوه في الحزب الوطني المصري ، والاتحاديون يرون من مصلحتهم ايجاد زعيم عربي يخدعون به العرب ، وليس الشيخ شاويش بأهل لهذه الزعامة ولا الاتحاديون قادرين على مايهون منه ، حتى انهم لو قربوا منهم بعض الافراد الذين نالوا الثقة بحق بين العرب لسكان قربه منهم وثقتهم به مما يسرع بالتهمة اليه ويفيده الظنة ، فاذا بدرت منه بادرة تافي مصلحة قومه عدت دليلا قاطعا على نفاقه وسوء ذمته للاتحاديين ، فكيف اذا يستطيعون جعل الشيخ شاويش زعيما عربيا ويريدون ان يؤثر كلامه في السوريين وهو قد اشتهر بالنفاق للترك والحط على العرب ونفاق زعماء الحزب الوطني وكتابه في بعض السوريين منهم خاصة! وهل ينسى السوريون من هؤلاء مطاعن جريدتهم اللواء فيهم وقولها في طائفة من جنودهم ما قاله مالك في الخمر اذ كانت باخرة تحمل بعض العسكر العثماني الى اليمن ففر بعضهم من بور سعيد او السويس وقيل انهم من السوريين فافترست ذلك جريدة اللواء لسان حال الحزب الوطني وعدوة السوريين كافة وشنعت على السوريين وعللت هربهم « بخسة منبتهم » ثم تبين أنهم غير سوريين

يعلم الاتحاديون انهم مخطئون في نظريتهم هذه كما ظهر لهم مثل ذلك في استخدام عبد الله بمثل مايستخدمون له شاويشا وفي غير ذلك من أعمالهم المبنية على نظرياتهم الباطلة ، بل يعلمون أن خداعهم هذا سيعود عليهم بضد مايرون كما وقع لهم غير مرة ولم يعتبروا الا فليعلموا ان جميع من يفهم ويعقل من العرب يعتقد ان جمعية الاتحاد والترقي لاتريد بالعرب الا شرا ، ولا تستخدم لشيء يتعلق بمصالحهم الا من يكون عونا لها عليهم ، والسوريون منهم خاصة يعرفون ان كتاب الحزب الوطني كفريد وشاويش كانوا يبغضون جميع السوريين قبل أن يستخدمهم الاتحاديون في أهوائهم وان شاويشا قد غلا في ذلك وأفرط فلا قيمة لكلامه عند أحد منهم الا قيمة العدو المستأجر

لايذاء عدوه . فاذا كانوا يريدون إرضاء العرب فلا طريقة لذلك الا ترك الجمعية لقصدها الأول وهو العصبية التركية وجعل العرب والترك كالاخوين الشقيقين لا ترجيح لاحدهما على الآخر في شيء والا خسروا العرب أو خسروا أنفسهم ، وانه ليستحيل في اعتقادي الجمع بين بقاء الدولة وبقاء سلطة الجمعية فيها وهي على طريقتها الاولى

ولولا ان هذه الجريدة منشأة بأموالنا لافسادنا ذات بيننا باغواء المفتانين على حكومتنا لما كتبت في شأنها كلمة واحدة اذ ليس الشيخ عبد العزيز شاويش أحق بان يلتفت الى قوله من صبية الحزب الوطني الذي يخلقون كل يوم من الكذب والبهتان ويفترعون من الغش والتمويه مالم يرض عنه وغر به كراما . كما أرشدنا الله تعالى في كتابه ، فنحن نحذر قومنا من دسائس جمعية الاتحاد والترقي لا من شاويش .

فالذي ينبغي لكل محب لقومه محترم لنفسه من العرب أن لا يمن بقراءة هذه الجريدة للمستأجرة بمال السحت ولا يبالي بما يسمعه منها . وعلى أصحاب الجرائد العربية الصادقة المحترمة أن لا تردد صوتها ، ولا تنقل عنها ولا ترد عليها ، ولكن يجب عليهم أن يحيطوا بكل مافيها ، فان رأوا فيها مفسدة لابد من درئها وتفنيد باطلها فليكن ردهم على المستأجرين دون الأجير ، وعلى الكلام دون المتكلم ولا يغتروا بما عساه يكتب فيها من مدح العرب او دعوى السعي لخيرهم ، فقد رأوا مثل ذلك في جريدة (العرب) وعلموا انه خداع وتغرير ، و « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » وهل رأيتم من اقاصي جحر الاتحاديين ؟ فجريدة « الباطل يسفل » التي سميت بضد معناها شر مخلف للجريدة التي سميت (العرب)

الوفاق بين المسلمين والنصارى

وعلى عقلاء البلاد السورية أن يعتبروا بهذا الافساد فيزداد استمساكا بحبل الوفاق والتآلف الذي وفقهم الله له ، وان يمن كتاب المسلمين منهم خاصة برد كل كلام يكتب لافساد ذات بينهم باسم الاسلام وبتحريك نعرة العصبية الدينية فان هذا الافساد مخالف لهدي الاسلام ، ولا تغرنهم سفسطة بعض اجراء الاتحاديين وزعمهم انه يجب احترام شاويش بكونه من علماء الدين لا لأن شاويشاً ليس من صنف علماء الدين ولا زيه زيهم ولا سمته سمتهم اذ هو يحلق لحيته ويعفي شاربه خلافاً للسنة بل لان كلامه باطل يراد به ماهو شر منه والعبرة عندنا بالحقائق والمقاصد ، لا بالرسوم والظواهر ، وحسب العامي الذي يشتبه عليه الكلام ، ان يعلم انه صادر ممن جاهروا بعداوة العرب بالقول والعمل ، فهذه آية لا تخفى على أحد

﴿ الصلح بعد سوء العاقبة ، بسقوط يانية وأدرنة ﴾

كان زعماء الاتحاديين يزعمون أن سبب خذلان الجيش العثماني وانكساره في حرب البلقانيين هو ان وزارة مختار ووزارة كامل لم تحسنا ادارته ولم تكملا قيادته الى القادرين عليها، وانه لو تعين محمود شوكت باشا مفتشاً للجيش لتحولت الحال وكان الظفر للعثمانيين مضموناً، ثم عمدوا الى اسقاط وزارة كامل باشا لرضائها بالصلح وزعموا انهم لايصالحون الا بعد أن يفقدوا أدرنة ويعيدوا شرف الجيش اليه بالظهور على البلقانيين، وان قوته ومعداته كافية لذلك لاينقصها الا ان تكون الادارة والقيادة في أيدي الاتحاديين ، وقد نقلنا بعض مزاعمهم هذه وبينا أنهم لاغرض لهم الا الاستيلاء على الدولة بهذه الفرصة وانهم لايستطيعون ان يصلوا الى صلح شريف كالصلح الذي كان يريده كامل باشا وهو به زعيم بأن يجعل أدرنة ولاية اسلامية مستقلة فاصلة بين البلقان والآستانة . ثم صدقت الحوادث آراءنا ففتحت اليونان يانيا عنوة وفتحت البلغار أدرنة عنوة ، وفقدنا كل ما كان فيهما من السلاح والذخائر وهو معظم ما بقي عند الدولة وأخذ منا عشرات الالوف أسرى ، فهل هذا هو الشرف العسكري الذي أرجعوه بجعل الصدارة مع الحربية بيد محمود شوكت باشا ؟

كان المنافقون للاتحاديين يعظمون أمر أدرنة على عهد الوزارة السابقة ويزعمون انها اذا سقطت في أيدي البلغار حرباً أو صلحاً فقد سقطت الآستانة وسقطت وراءها الدولة والاسلام . فلما أخذت أدرنة عنوة وعصوها أمنع من جميع حصون البلاد الحصينة في الدولة وعلم جميع الناس أنه لايوجد في هذه المملكة حصن يمتنع على حكومة صغيرة كالبلغار قام هؤلاء المنافقون يجعلون سقوط أدرنة وأخذها عنوة من قبيل الظفر للدولة لان الاعداء علموا ان أخذ بلادها لايمكن الا بخسارة كبيرة !!! وأين البلاد الحصينة كادرنة في الدولة ؟؟ ومثل هؤلاء المنافقين لايكلمون ولا يخاطبون وانما يمثل عند ذكرهم هذا بالحديث الصحيح المتفق عليه « ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت »

ومنهم من يقول ان أخذها عنوة اقل ذلا من أخذها صلحا بالنزول على حكم الدول الكبرى لان الرضاء بما تقترحه الدول يعلمها فينا ويجعلنا تحت سيطرتها !! وكان يمكن تسليم هذا الكلام على علاته لو أن الدولة سلمت بعد أخذ أدرنة من سيطرة الدول وتحكمهن في أمر الصلح وأمر الجزر ولكنها لم تسلم من ذلك بل عادت بعد

أخذ أعظم بلادها وأكثر ذخائرها بالقوة القاهرة الى تفويض أمر الصلح الى اولئك الدول بلا شرط ولا قيد وذلك شر ما وصلنا اليه من تسليم الامر الى الدول وقبول سيطرتها وما بعده أعظم منه ، وسيرى القراء صدق رأينا في هذا كما رأوا مثله كثيرا وجملة القول إن هؤلاء الاتحاديين قد عجلوا على هذه الدولة ما لم يعجل عبد الحميد فهم الذين استبدوا بالامر كل هذه المدة لم يخرج الامر من أيديهم الا شهورا لم تجدد فيها شيء لم يكن من آثارهم وعمل أيديهم ، ولا يزالون يعنون علينا بكلمة الدستور أو « مشروطيت » فلا كانوا ولا كان دستورهم الخادع ولا مشروطيتهم الخاطئة الكاذبة

﴿ مستقبل الدولة العثمانية ﴾

قد عرف القراء قبل هذه الحرب رأينا في الدولة ، وانه يخشى عليها سرعة الزوال اذا ظل أمرها في يد جمعية الاتحاد والترقي ، واما بعد هذه الحرب فقد صار يخاف عليها الزوال كل أحد حتى عوام العثمانيين . وقد كنت أعتقد وأقول منذ بدأت هذه الحرب البلقانية : اذا ذهبت ولايات أوربة من الدولة فلا يمكن ان يبقي الترك حكومة الدولة نيابة بقانونها الاساسي الحاضر وناهيك بها اذا ظل أمرها في أيدي الاتحاديين غلاة النعرة التركية وان من مقاصد صاحبهم مع امام اليمن والسيد الادريسي ان يقل عدد العرب الذين لهم حقوق في ادارة الدولة ، وقد قامت الشعوب العثمانية تطلب الاستقلال الاداري الداخلي للعرب فيه باللامركزية الادارية وتريد الحكومة ان تلزمهم عن ذلك بقانون جديد وخصته للولايات لا ترضى به ولاية باختيارها . وجملة القول في الدولة انه لا بد من انقلاب عظيم في شكلها العام الدستوري وفي ادارتها الداخلية

واما حالتها الخارجية فالظاهر لنا ان دول أوربة المسيطرة عليها لا تريد الآن ان تحدث في ولاياتها الاسيوية قسما . وقد بلغنا ان بريطانية العظمى — وهي صاحبة النفوذ الاعلى في السياسة الاوربية العامة تريد وتقنع الدول بما تريد — ان تمهل الدولة خمس سنين لاصلاح بلاد الاناضول وتساعدها على ذلك بمساعدتها على عقد قرض لا يقل عن عشرين مليوناً من الجنيهات . ونحن نعلم ان انكلترة لا بد ان تختم هذه الحرب باظهار مساعدة الدولة ترمي به الى عدة أغراض منها ارضاء مسلمي الهند الذين اشتد سخطهم عليها . وسنبين سائر هذه الاغراض اذا صار ما بلغنا أمراً مفعولا

حكمت علينا كثرة المواد الضرورية ان نؤخر شكرنا لأهل عمان والعراق على اكرامهم ايانا في رحلتنا الاخيرة كما أخرنا كثيراً من التقاريظ والاخبار